والذى هو أول أمل عاهدتنا به السماء قبل أن يجف العالم من سيل الطوفان. فلينظر اليائس الى كل ذلك وليعترف بعدئذ أن الارض ليست بواد لليأس وللحزن وللشقاء بل إنها وادى الآمال والنور والجمال... فلينظر اليائس وليدرك أن أسطع النجوم تتلألأ فى الليل الحالك. وأبرق البروق تكوّن السحب القاتمة... وأبهى الآمال فى تلك التجارب الشديدة... فأينما كنا يجب أن نجد شيئاً نعيش لأجله ونبنى الآمال عليه...

فليس هناك من حياة بدون أمل يقويها ولا من مصيبة بدون أمل يبتسم فوقها ولا من قلب بدون أمل يرفعه ولا من يوم بدون أمل ينيره ولا من مشروع بدون أمل يوطده

املى عبر المسيح

الأسرة

الاقتصاد

لست أعنى به ذلك العلم العظيم الذى شغل اذهان المفكرين زهاء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ودونوا فيه من المؤلفات ما يعوزنى الوقت لا للاشارة الى ما فيها بل الى مجرد سرد أسمائها. ففى هذه المورقات الضخمة الكفاية لمن يريد أن يقف على سر تطور الأمم وكيف أن الدول طالما اشتبكت بعضها مع بعض فى حروب طاحنة لا لشىء سوى المنافسة الاقتصادية. وما الحرب العظمى الا أصدق شاهد على ذلك

وها قد رأينا بأعيننا كيف أن الدول التى انخذلت فى هذه الحرب

العظمى هى التى نَضُب معين ثروتها فى حين كانت ألوية النصر معقودة على رؤوس جنودها فى كل ميدان . وهكذا يكون حال المنازل يغرقها الثراء والجاه فان لم يؤتها الله مدبرات حكيمات فانها لا تلبث أن تعمل فيها عوامل الفناء وتقع تحت سلطان الفقر والفاقة وما أقساه من سلطان

ولما كان الاقتصاد عماد العمران وقوام السعادة كنا نحن معاشر النساء أشد الناس ارتباطاً بأصوله ومبادئه. وأولى من يحرص على العمل به احتفاظاً ببيوتنا من أن تمتد اليها يد الفقر

***

ان الانسان ابن علمين :

١ علم الأخلاق ويبحث فى غاية الانسان والسبل الموصلة اليها

٢ وعلم الاقتصاد ويبحث فى حاجات الانسان وكيفية قضائها

فالقانون الاخلاقى قواعد لأفعالنا ورغائبنا

والقانون الاقتصادى يبين لنا الحق والواجب والاعتدال فى الرغبات.

وبالاعتدال فى الرغبات يكون الانسان مقتصداً

وبالتغالى والافراط فيها يكون الانسان مسرفاً

فيجب على الحكيم أن ينظم رغباته بكيفية تقلل من احتياجاته وبذلك يقضى على مصدر اضطراباته

حقاً إن الافراط فى الرغبات مصدر الاضطرابات والآلام غالباً. وتتشكل الرغبات فى مظهر الشهوات واللذات ومن هنا تتبين لنا الهوة التى يقع فيها متبع شهواته ولذاته

إن الرجل الذى يسعى لمنفعة يقصد اللذة والرغبة . ولكنها ليست تلك

اللذة الوقتية بل تلك التى تحقق سعادته طول حياته. والاختبار علمنا أن من اللذات ما هو سيء العواقب قد يجر وراءه آلاماً مستديمة. كما أن من الآلام ما تعقبه لذائذ. فلا ينبغى إذاً اقتناص كل لذة تصادفنا متوهمين أنها خير. والابتعاد عن كل ألم يتهددنا معتبرين أنه شر. بل يجب مراعاة نتائج هذه اللذات والرغبات هل ستكون نافعة أو ضارة فى المستقبل. والرغبات على نوعين:

١ رغبات طبعية وضرورية كالأكل والشرب وينبغى نيلها بدرجة متوسطة ويحسن بى أن أشير الى خطأ قل من نجا من الوقوع فيه حتى من نال منا نصيباً غير قليل من العلم الصحيح: ذلك أنه قلما نفطن كيف نفرق بين الكرم والتبذير وبين البخل والاقتصاد. وربما كان لنا فى ذلك بعض العذر لما قد توارثناه عن آبائنا من العادات القديمة التى وان امتدحتها بعض الشيء فهى خليقة أن تذهب مع ماذهب من العادات التى لم تعد صالحة لأن يعمل بها بعد التطور العظيم فى المدنية التى ضربت فيها كل أمة بسهم

٢ رغبات غير ضرورية وهى الكماليات كالأطعمة الفاخرة والحلي وغيرها فمن هذين النوعين نجد أن الرغبات التى تسوقنا الى الأسراف هى ما كانت من النوع الثانى. والعوامل التى تجر اليها وأن تكن قوية فى بعض الأحيان لكن يلزم التغلب عليها والاقتصاد فيما تجر اليه

فما هى تلك العوامل التى تجرنا وتوقع بنا فى مهالك الرغبات الغير الضرورية؟ لعمرى انها منحصرة فى ثلاثة:

١ حب المباراة ٢ — حب التظاهر ٣ — حب الشهوات الوقتية

فالاسترسال مع هذه الأمور الثلاثة يوصلنا الى الاسراف. وهذا يعمينا عن فضائل «الاقتصاد». وأقصد بالاقتصاد هنا ثلاثة انواع:

١ الاقتصاد فى الوقت ٢ — الاقتصاد فى الشهوات ٣ — الاقتصاد فى المال

لحب المباراة هو كما ذكرت المرحومة ملك ناصف «الحسد يأكل القلب ويكثر الهم فلا تطيق صاحبته أن ترى أجمل منها هيئة أو أغنى مظهراً». ولو علمنا أن الانسان لا يسأل عن جماله أو بشاعته لما اهتممنا مثقال ذرة بجمالنا وبشاعتنا . . علة المباراة هى التى تجعلنا نسرف فى وقتنا ومالنا فكثيراً ما قابلنا وسمعنا عن سيدات يذلن طويلاً من وقتهن للبحث عن عقد ثمين رأين سيدة اخرى لابسته . وكم من سيدة عالمة بصناعة الخياطة تبخل بخياطة ملابسها حتى تبارى صاحبتها فى ارسالها للخياطة الماهرة الافرنجية

فهذه أنواع من تغلب الرغبات الكمالية علينا . . فما لنا نتأنق فى الكماليات وما ضرنا لو عشنا بدونها ؟ . . أما كان اوفق لهؤلاء السيدات ان يقتصدن فى وقتهن ومالهن ويصرفنه فيما هو نافع ؟

وفضلاً عن أن المباراة تستدعى الاسراف فى الوقت والمال فهى نوع من أنواع « التقليد الاعمى » الذى يوقف الحركة الفكرية وليس شىء أبلغ ضرراً من تسرب روحه الخبيثة الى عقول الناشئين

أما حب التظاهر فداء سرى بين ابنائنا وفتياتنا بدرجة لا تطاق . فلا مال يقتصد ولا عقل يرتاح متى سلكنا طريق التظاهر . وكم منا من يفضل ضياع المال وانشغال البال فى سبيل التظاهر بالغنى لكى يظنه هذا أو يعتبره ذاك من ارباب الملايين ومن أصحاب العقارات . حتى اذا ما استمر طويلاً فى غيه واسرافه فقد ما عنده من المال واصبحت معيشته فى ضيق ونبذته الاخوان وتغيرت حاله فما هو ذلك الرفيع مالك الملايين بل هو ذلك المعتوه المسرف . ولو تدارك امره قبل تورطه فى لذاته وتظاهره لاقتصد فى

شهواته ولذاته وأصلح من حاله . وكثير من الناس من يكون خلاصهم فى أيديهم وهم لا يدرون. وكثيرون يتضايقون جداً ثم يلتفتون الى الذى ضايقهم فلا يجدون غير ذواتهم وحب تظاهرهم ومع ذلك يصبرون كاظمين

أما حب الشهوات الوقتية فهو أضر العوامل التى تنزل بصاحبها الى احط الدركات. قدمنا ان الرجل الذى يسعى لمنفعته يقصد اللذة والرغبة التى تحقق سعادته طول حياته . . واللذة من هذا النوع لا اقتصاد فيها ولا حد لها . بل هى تستمر مع الحياة وتنتهى بانتهائها . فلو فرضنا أن لذة هـذا الرجل السعى وراء العلم لتجلت لنا حقيقة القول أن لا نهاية للرغبة واللذة التى تحقق سعادة المرء طول حياته. ولكنى اقصد هنا الشهوات الوقتية التى تضر بصاحبها وخصوصاً اذا تمادى فيها وما أسرع أن يتمادى الانسان فى الضار

ولو حللت شهوات الشباب الوقتية لانحصرت فى اللذة نحو الملبس والذهاب لمحلات النزهة والملاهى. فالاعتدال فى الملبس من الرغبات الطبعية الضرورية لوقاية الجسم ولكن التغالى فيه وفى أنواع الزينة والحلى من الكماليات التى تسوق معظم فتياتنا الى الاسراف

ان المرء انما يعاب على ملبسه اذا كان قذراً ولا يعاب عليه اذا كان بسيطاً متوسط الثمن. وماذا ينفع المسرفات التغالى فى ملابسهن وصرف القليل والكثير فى ملابس لا تلبث ان تنبذ بابطال ازيائها . وهكذا شأن التسرع فى القبول فانه يفضى الى مثله عند النبذ فما يتهافت عليه الناس من الازياء الحديثة والاذواق الجديدة يتركونه بعد وقت قصير بدون أسف ولا تردد للاستعاضة منه بنوع آخر يكون له مثل حظ الأول فى البداءة والنهاية

هذا وصرف المال فى كماليات الملبس مقبول نوعاً عن صرفه فى دهانات

طلاء الوجوه. فقد وقفت مرة على أثمان بعض الأنواع التى تستعملها السيدات فوجدت منها ما يزيد ثمنه عن الجنيه . وتنفذ كميته باستعمالها مدة لا تزيد عن شهر. فبالله ماذا إستفادت تلك السيدة من صرف مبلغ هذا مقداره فى شىء لا يثمر ولا يغنى من جوع ؛ أغرها أن ترى وجهها جميلا برهة زمانية فى المرآة ولا تلبث حتى تغسله فيعود الى طبيعته الأصلية ؛ وما أجمل الطبيعة ولو كانت بشعة . فكما قلت أولاً المرء لا يسأل عن جماله وبشاعته وانما يسأل عن أخلاقه وكيفية قضاء حاجاته بطرق اقتصادية تبرهن على قوة عقلية وعلى حكمته وقدرته على كبح جماح ارادته . فمن فهمت الرغبات الضرورية الطبعية اعتدلت فى قضائها وابتعدت بقدر الامكان عن الكماليات مثل الأطعمة الفاخرة والرياش الثمين الخ

ولتعلم كل سيدة أن نفقات الاسرة اليوم كثيرة فى ذاتها لتعدد الحاجات وغلائها فلنكتفِ بالضرورى منها . ولنقتصد فى قضائها بمعنى أن تدبر ربة المنزل فى الطهى وشراء الكميات الكافية واستعمال المقادير اللازمة فقط من المواد الدسمة ولا سيما المسلى الذى تسرف فيه طاهياتنا بدرجة تمج المعدة الطعام من أجلها

ولتعلم المرأة عموماً أنها وكيلة الرجل فى ماله وبيته والوكيل يجب أن يكون أميناً تقياً . وان التكالب على الاسراف فى المال والوقت والشهوات صفة مصغرة للنفس ومجلبة للفقر فطوبى لمن اعتدل فى قضاء حاجاته فدبر وأصلح

فريده احمد